

نظرية نشأة اللغة وتفرّعها في التراث العربي

هاشم أشعري

hasyim.ikhac@gmail.com

جامعة كياهي الحاج عبد الحليم موجوكرطا

ملخص: اللغة كما شرح علماء اللغة هي أصوات، أو كتابة، أو رموز، أو كل ما يعرض الإنسان لوصول أغراضهم وأفكارهم. وفي نشأتها الأولى فيها اختلافات كثيرة في نظريتها. والرأي المشهور في نظرية نشأة اللغة هي نظرية التوقيف. نشأت اللغة مرة أخرى في عهد نوح، تفرع اللغات منذ عهد النوح بنسبة إلى أبناء نوح الثلاثة هم: حام، سام، ويافت. منذ هذا العصر تطور اللغة تطورا واسعا في العالم. واللغة العربية في بحث علم فقه اللغة هي فرع من فصيلة كبيرة، وهي فصيلة سامية، الفصيلة اليافنية، و الفصيلة الحامية.

الكلمات الرئيسية: نظرية، نشأة، تفرع، سامية، العوامل المباشرة

Permalink/DOI: 10.21274/tadris.2017.5.1.98-115

مقدمة

إن العلماء والمفكرين لم تختلفوا في شيء من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة. اختلف العلماء الغربيون في أصل اللغات ونقطة البداية فيها، فمن قائل إنها هبة الله إلى الأرض، أي أنها ذات أصل إلهي، ومن القائل إنها من صنع الإنسان واختراعه. وقد استند الفريق الأول إلى ماجاء في الكتاب المقدس. وقد أخذ بهذا الرأي الفيلسوف الفرنسي روسو، حين اعترف في رسالته التي ظهرت سنة ١٧٥٠م بالأصل الإلهي حيث يقول: (لقد تكلم آدم وتكلم جيدا، والذي علّمه الكلام هو الله نفسه).

ومن القائلين بهذه النظرية العالم هيردر (تلميذ الفيلسوف الألماني كانت) الذي ستدل على بطلان نظرية الأصل الإلهي بما يوجد في اللغة الإنسانية من عيوب، وبعدم وصولها إلى حد الكمال.^١ لقد اختلف العلماء اختلافا واضحا في مسألة نشأة اللغة. وقدم كل فريق حججا لدعم نظريته ودحض النظريات المعارضة.

وكتب التاريخ أن نشأة اللغة الثانية هي في عهد نوح. تفرعت اللغة بعد الطوفان حتى تحدد اللغة من نوح وأبناءه: سام، حام، ويافث. وتطورت اللغة من أبناء نوح. وأكثر اللغة التي تبقى في هذا العالم هي من سامية. تفرع اللغات في هذا العالم من أبناء نوح الثلاثة بسبب العوامل المباشرة التي تطورت اللغات اليوم إلى لغات كثيرة مختلفة من بلاد كثيرة. وفيهم كتابة ولهجة خاصة في تليظها. وانتشار اللغة في العالم بسبب العوامل هذه:

^١ نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص ١٨

عوامل اجتماعية سياسية، عوامل اجتماعية نفسية، عوامل جغرافية، عوامل شعبية، عوامل جسمية فيزيولوجية.

مفهوم اللغة

تعريف كلمة (اللغة): اللغة مشتقة من لغا - يلغو - لغوا. و أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة. فقال مصطفى الغلايين في كتاب جامع الدروس: "اللغة هي ألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم"^٢، و قال أحمد مختار عمر: "اللغة هي كل نطق أو كتابة أو إشارة يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم"، و قال أريستو: "اللغة هي الرمز". و لكن أشهر التعريفات ما ذكره ابن جني أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^٣.

نظرية نشأة اللغة

وقد تنوعت آراؤهم واختلفت مذاهبهم ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كان جل آراءهم يصطبغ بالصبغة الشخصية، ولم يتجاوز مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس. وفي ذلك يقول "ماريوي" : (فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد). ولا بأس أن نلّم هنا إلماما سريعا ببعض النظريات وآراء، التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية.^٤ و عدة نظريات لتفسير ظاهرة نشوء اللغة منها :

^٢ مصطفى الغلايين، جامع الدروس العربية، ص ٩

^٣ أبو الفتح ابن جني، الخصائص، ٢٣/١، عالم الكتب.

^٤ تاييف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص ١١٠

أ. نظرية التوقيفي

يرى أن اللغة غريزة وإلهام وموهبة فطرية أو توقيف من الله تعالى: علم الآدم الكلام واللغة، أو إلهام هبط على الإنسان الأول فعلمه النطق، وأسماء الأشياء، أو غريزة انفعل بها الإنسان فتكلم. وهذه النظرية قديمة نادى بها الفيلسوف اليوناني (هيراكليت) (٥٧٦ ق.م.).^٥ وقد قال بهذه النظرية أيضا ابن فارس اللغوي في الصحابي وابن حزم الظاهري في الإحكام.

ويستند أصحاب هذا المذهب، إلى أدلة نقلية مقتسبة من الكتب المقدسة، فاليهودي والنصاري يستدلون بما ورد في التوراة من قولها: ((وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو إسمها، فسمى آدم جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية))^٦ فكان ابن عباس يقول: ((وعلم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار، وأشبهها ذلك من الأمم وغيرها)).^٧

ب. نظرية المحاكاة

هي نظرية ترى أن الإنسان أنشأ بداية اللغة عن طريق تقليده للأصوات التي كان يسمعها حوله في الطبيعية، أصوات الرياح والحيوانات والمياه والأشياء.^٨ وتسمى مثل هذه الكلمات عند علماء الغرب: Onomatopoeia.

^٥ توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، ص ٢٥

^٦ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ١١٠.

^٧ نفس المرجع، ص ١١٠.

^٨ محمد عل الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص ١٤٨

هذه النظرية معروف أيضا باسم نظرية "البو - واو" (Bow-wow) عند ماكس ميلر (Max Miller) وهو من كبر علماء اللغة في القرن التاسع عشر. وقد عرض لهذه النظرية من علماء المسلمين ابن جني، فقال: (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوى الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وسحيج الحمار، ونغيق الغراب، وصهيل الفرس... ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد).^٩ أول من دافع عن هذه النظرية من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني (هردر) Herder في كتابه (البحوث في نشأة اللغة) الذي نشره سنة ١٧٧٢ م.

ومما قد يؤيد هذه النظرية، ما نجده في بعض الأحيان، من اشتراك في بعض الأصوات، في الكلمات التي تحاكي الطبيعية في عدة لغات، فالمثال، إن الكلمة التي تدل على الهمس، هي في العربية - كما نعرف: (همس)، وفي الإنجليزية whisper وفي المانية (فلوسترن) flustern وفي العبرية (صنصف) وفي الحبشة (فاصي) وفي تركية (سوسمك) susmak. فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها في تلك الكلمة، هو صوت الصفير: السين أو الصاد وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة.^{١٠} بمعنى أن بين اللفظ ومذلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك، بإزاء هذا المعنى أو ذاك.

ج. نظرية المواضيع والإصطلاحات

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت من اتفاق بين الأفراد في المجتمع. وذكره ابن جني، فقال: ((إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة،

^٩ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ١١٢
^{١٠} نفس المرجع، ص ١١٣.

وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجونا إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظا يدل عليه، ويغني عن إحضاره أمام البصر. وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص، ويؤمئوا إليه قائلين : إنسانا ! فتصبح هذه الكلمة اسما له، وإن أردوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه، أشاروا إلى الغضو وقالوا : يد، عين، رأس، قدم إلخ.^{١١} الرواد في هذه النظرية هم ابن الجني، ديموقريطس (الفيلسوف اليوناني). وقد تم بالفعل هذه النظرية التي بحثها الفلاسفة اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد.^{١٢}

د. نظرية التنفيس عن النفس

هذه النظرية تذهب إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة تعجبية عاطفية، صدرت عن الإنسان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة. فهذه الأصوات الساذجة، قد تطورت على مر الزمان، حتى صارت ألفاظا. وتمتاز هذه النظرية، بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني، وبال الحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات وأحاسيس.

ولعلها كانت في الأصل مجرد غناء، ينظم بوزنه حركة المشي، أو العمل اليدوي ، أو صيحة كصيحة الحيوان، تعبر عن الألم، أو الفرح، وتكشف عن خوف أو رغبة في الغذاء. بعد ذلك لعل الصيحة اعتبرت، بعد أن زودت بقيمة رمزه، كأها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون. ولعل الإنسان وقد وجد في تناول يده هذا المسلك المريح، قد استعمله للاتصال بيني جنسه، أو لإثارتهم

^{١١} نفس المرجع، ص ١١١

^{١٢} محمد بن ابراهيم الحمد يخف اللغة مفهومه وموضوعه وقضاياها، ص ٥٦

إلى عمل ما أو لمنعهم منه هذا الفرض تبدو عليه مخايل الصدق، وإن لم يكن مما يمكن البرهان عليه.^{١٣}

هـ. نظرية الإستعداد الفطري

هي النظرية التي يرى أن الله خلق الإنسان مفطوراً على قدرة استحداث أدوات الإتصال اللغوي وأن الإنسان مفطور على القدرة على التعبير عن انفعالاته.^{١٤} أصل اللغة في هذه النظرية أن الإنسان مزود بفطرته، بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أنه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه، بأية وسيلة من الوسائل، غير أن هذه القدرة على النطق بالألفاظ، لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة، أو في وقت المناسب.

وهذه النظرية التي أذاعها اللغوي الألماني: (مكس موللر)، ودعاها نظرية: (دنج دونج) Ding Dong. دعا (مكس موللر) إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال، في حياتهم اليومية الحرة، التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء، التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، وأنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، إرضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة، التي نشأ عنها الألفاظ.^{١٥}

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن الأصل في اللغة هو أن الإنسان مزود بالقدرة على صوغ الألفاظ وهذه القدرة لا تظهر إلا عند الحاجة.

و. نظرية الملاحظة

^{١٣} نفس المرجع، ص ١١٥

^{١٤} محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص ١٤٨

^{١٥} نفس المرجع، ص ١١٧.

صاحب هذه النظرية هو العالم الألمان : (جيجر)، فقد برهن هذا العالم على أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، منالأصوات اللغوية الأولى، يعبر عن أعمال أو إشارات الإنسانية. فإن مشاهدة الإنسان لغيره هو متلبس بعمل من الأعمال الهامة، أو متأثر بحال انفعالية، أثارت أقصى اهتمامه، وجعلته يتأثر به متأثراً آلياً، بطريق المحاكاة العكسية، فنظر على وجهه علامات التأثر نفسها، البادية على وجه زميله.

وعلى مر الأيام، وبتكرار التجارب المتشابهة، تطورت الأصوات إلى كلمات، واستغنى عن الإشارات كلها، أو بعضها على الأقل.^{١٦}

وقد أقبل صاحب هذه النظرية على كثير من الكلمات المستعملة في اللغات الأوربية، وأرجعها إلى أصول، تدل على عمل من أعمال الإنسان، مثال ذلك : الأصل الإغريقي، الذي معناه: (الكشط) أو (السلخ)، اشتقت منه كلمات معانيها: الجلد والخشب والشجر. وهنا نرى العلاقة واضحة بين هذه الفروع وأصلها، فإن الجلد هو ما يسلخ، والخشب شجر كشط لحاؤه، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب.^{١٧}

ز. نظرية التطور اللغوي

قد تأثر واضعو هذه النظرية بنظرية التطور العام، التي أذاعها (دارون) وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامه، وفي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة. ويقول على أن النمو اللغوي للطفل يشبه تطور لغة النوع

^{١٦} نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص ١١٥

^{١٧} نفس المرجع، ص ١١٧

الإنساني. هم يزعمون أن لغة الإنسان الأول، سلكت مراحل فطرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي.^{١٨}

تفرّع اللغات

إن أمهات اللغات إنما نشأت من هجرة بعض طوائف أهل اللسان الأصلي إلى جهات متعددة مباحدة، فيدفعهم التقاطع إلى نسيان بعض الكلمات لعدم استعمالها في وطنهم الجديد أو على تحريفها على طول الزمن، ثم هم يرون في هذا الوطن الجديد ما لم يكون قد ألقوه من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون إلى وضع كلمات جديدة لكي تدل على هذه الأشياء فيحدث من ذلك أنه تتباعد اللغة الفرعية عن الأصلية كلما تباعد الزمان والمكان.^{١٩}

في الإسلام، يعتقد أن آدم إنسان الأول. لا أحد على وجه اليقين كيفية نواصل آدم مع ابنائه في ذلك الوقت. يسجل التاريخ تطور اللغة بدأت مند نوح وذريته : سام، حام، ويافت.^{٢٠} فنوح هو الأب الثاني بعد آدم، للشعوب البشرية، وعن أولاده الثلاثة تفرعت هذه الشعوب إلى سامية وحامية وآرية (بافثة). ونظر بعض الباحثين الآخرين إلى موضوع تصنيف اللغات البشرية، نظرة الطبيعية، فقسم الأجناس تفوقها في بعض ذلك تميم، ولكنها- أي قريشية- باعتراف من جميع القبائل وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها، كانت أغزرها مادة، وأرقها أسلوبا، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير الجميل

^{١٨} نفس المرجع، ص ١١٩

^{١٩} محمد شرف الدين الجوهري، فقه اللغة العربية، ص ١

^{٢٠} كرل بروكلمان، فقه اللغة السامية، ص ١١.

الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة.^{٢١} من ذلك نعرف أن اللغة العربية فرع من فصيلة كبيرة، يطلق عليها فصيلة اللغات السامية .

وتنقسم اللغات السامية عموماً إلى: شرقية وغربية. أما السامية الشرقية، فهي الأكادية بفرعيها: البابلية والآشورية. وموطن هذه اللغة، هو بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات في العراق، (واللغة الأكادية، اسم جامع أطلقه البابليون، في جبوب أرض الرافدين، على لغتهم البابلية، ولغة إخوانهم الآشورين، في شمال أرض الرافدين. وهي كذلك في اصطلاح العلماء المحدثين، يطلقونها على اللهجات البابلية والآشورية المختلفة. و(أكاد) في الأصل: اسم المدينة التي بناها (سرجون) في الجزء الشمالي من أرض بابل، حوالي سنة ٢٣٥٠ م، لتكون عاصمة لدولته، وهي أول دولة سامية، شهدتها أرض الرافدين).^{٢٢} وقد ماتت هذه اللغة منذ قديم الزمان.

لمحة تاريخية عن اللغات السامية

يطلق العلماء اليوم على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمينية والبابلية — الآشورية لقب الساميين. وكان العلامة المستشرق الألماني شلوتزير Schlozer أول من استخدم هذا اللقب في إطلاقه على تلك الشعوب الموجود في التورة، وقد شاركه عالم الألماني آخر هو إيكهورن Eichhorn — في أواخر القرن الثامن عشر — بتسمية لغات هذه الشعوب "باللغات السامية". والتسمية لم تخترع اختراعاً، فهي مقتبسة من الكتاب

^{٢١}صباحي الصالح، دراسات، في فقه اللغة، البعة الثانية، ص

^{٢٢}رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ٢٥.

المقدس الذي ورد فيه أنّ أبناء نوح هم سام وحام ويافت، وأنّ القبائل والشعوب تكوّنت من سلالتهم.^{٢٣}

قال ربحي كمال: " اللّغات السامية فتطلق على جملة اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في آسيا وأفريقيا. وبعضها حيّ لا يزال يتكلّم به ملايين البشر، ويحمل كنوزاً غنيّةً من الثقافة والأدب"^{٢٤}.

وأما الموطن الأصلي للساميين عند آراء العلماء ونظرياتهم، أهمها: (١) المذهب الإفريقي: وصاحبه هو المستشرق "تيودور نولدكه" الذي يقول: "والقراية الكائنة بين اللغتين: السامية والحامية، تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الموطن الأصلي للساميين كان في إفريقيا لأتّه من النادر أنّ الحاميين كان لهم موطن أصلي غير القارة السوداء. (٢) المذهب الأرميني: وقد ذهب إلى هذ المذهب المستشرق الفرنسي "رينان" وغيره، وهم يذهبون إلى أنّ الساميين "قد وفدوا من أماكن معينة من شعوب أرمينية. وهذا الرأي مستمدّ من سفر التكوين (١٠/١١؛ ٢٢-٢٤/١٣) الذي يعزو كثيراً من هذه الشعوب إلى (أرفكشاد)، وهي تقع على حدود أرمينيا وكردستان". (٣) المذهب البابلي: وممن ذهب إلى ذلك من المستشرقين "إجناتسيو جويدي" و "فريتس هومل" وغيرهما، فقد حاول أنّ "جويدي" في بحث له نشره في روما سنة ١٨٧٨/١٨٧٩ م، أن يبرهن على أنّ "الوطن الأصلي للساميين يقع أسفل الفرات وهو يريد أن يثبت أن المفاهيم الجغرافية والنباتية والحيوانية التي عبّر عنها في كلّ لغة من اللغات السامية بكلمات موحّدة قديمة، هذه المفاهيم لاتشير إلا إلى الظروف الطبيعية لتلك المنطقة. (٤) المذهب العربي: ومن أنصاره "شِبْرِبْحَر" و"دي غُوِيه"

^{٢٣}صباحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٣٦

^{٢٤}ربحي كمال، دروس اللّغة العبريّة، ص ٦

و"كائيتاني" و"موسكاتي" وغيرهم، يذهب هؤلاء جميعاً إلى أنّ جزيرة العرب هي المهد الأول للساميين.^{٢٥}

العربية بين أخواتها السامية

لعلّ أفضل النظريات في تقسيم اللّغات هي التي تعوّل على صلات القرابة اللّغويّة، فتنشئ من كلّ مجموعة متماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل تؤلّف بينها غالباً روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية.

وعلى هذا الأساس لاحظ العلماء مجموعتين هامتين متميزتين، سماوا إحداهما الفصيلة الهندية-الأوروبية Indo-Européenne والأخرى الحامية-السامية Chamito-Sémitiques، وتنبهوا إلى صلات القرابة بين اللّغات الدّاخلية تحت كل منهما على حدّ، وإلى الصفات المشتركة بين الفصيلتين كليهما، ثم جاء مكس مولر Max Moller بتقسيمه الثلاثي اللّغات، حين سمّي طائفة من اللّغات الآسيوية والأوروبية التي لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين باسم اصطلاحى هو الفصيلة الطورانية Touranienne. وهذه الفصيلتين الهامتين^{٢٦}:

أ. الفصيلة الياشبية أو الهندية-الأوروبية

هي تلك المجموعة التي ترجع إلى المتكلمين بها من نسل يافث بن نوح، وقد اختلف في موطنهم الأوّل، فقيل: إنه كان بالمناطق الروسية، بأوروبا

^{٢٥} رمضان عبد التواب، *فصول في فقه العربية*، الطبعة السادسة، ص ٣٨-٤٠

^{٢٦} صبحي الصالح، *دراسات في فقه اللّغة*، الطبعة الثانية، ص ٢٩-٣٠

الشرقية، وقيل: إنه كان بمناطق بحر بلطيق^{٢٧}. ويتكلم بها الآن كثير من شعوب أوروبا وأمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا.

وتشمل هذه الفصيلة عديداً من اللغات، تتلخص في ثمان طوائف^{٢٨}:

١. اللغات الهندية والفارسية، وتسمى اللغات الآرية، وتنتشر في بلاد الهند والإيران.

٢. اللغات اليونانية، وتشمل اليونانية القديمة واليونانية الحديثة (التي نشأت في القرن السابع الميلادي)، ولغة اليونان في عصرنا الحاضر.

٣. اللغات الرومانية، ومن فروعها (اللاتينية) التي انقسمت إلى عدّة لغات، هي: البرتغالية، والأسبانية، والفرنسية، والإيطالية، ولغة رومانية^{٢٩}.

٤. اللغات الجرمانية، شعبتان: الغربية والشمالية، فمن فروع القسم الغربي: الإنجليزية، والهولندية والألمانية. ومن فروع القسم الشمالي: السويدية، والنرويجية، والدنمركية.

٥. اللغات السلافية، وهي شعبتان صقلبية وبلطيقية. فمن الأوّل: الروسية والتشبيكية، ومن الثاني: البروسية القديمة والليتوانية.

٦. اللغات الأرمنية.

٧. اللغات الألبانية.

٨. اللغات الكلتية التي كان ينطق بها شعوب الكلت Les Celtes. ولها بقايا في إقليم أيرلندا والبريتون الواقع في غربي فرنسا.

^{٢٧} علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص ١٨٨

^{٢٨} عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، الطبعة الخامسة، ص ٥٦

^{٢٩} ذكر في مرجع آخر "اللغات الإيطالية"

ب. الفصيلة الحامية – السّامية

الحامية هي اللغات التي ترجع إلى سلالة حام بن نوح، وقد انتشرت في شمالي أفريقيا وشرقيها. وهذه الفصيلة تشمل لغات كثيرة منها:

١. اللّغة البربرية، وأما البربريّة فهي لغة السكان الأصليين لشمال إفريقيّة.
٢. اللّغة المصريّة القديمة، وهي اللغة قبل اتصالها باللّغة السامية.
٣. اللّغة الكوشيتيّة، فهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيّة.

اللغات السامية تقسم إلى: شرقية وغربية، كما تقسم الغربية إلى غربية شمالية وغربية جنوبية.^{٣٠}

ج. فصائل اللغات الإنسانية الأخرى

أما بقيّة اللّغات الإنسانية الأخرى فقد ذهبت جمعية علم اللّغة ببارس إلى قسمتها إلى تسعة عشر فصيلة، أهمها^{٣١}:

١. اللّغات الطورانية، كالتركيّة والمغوليّة والمنشورية، وبها سمي ماكس مولر جميع الفصائل الباقية على سبيل الإصلاح الخاص.
٢. اللّغات اليابانيّة.
٣. اللّغات الصينيّة – التبتية.
٤. اللّغات الكورية (لسكان جزيرة كورية).
٥. اللّغات القوقازيّة (ويستثنى منها اللّغات القوقازيّة السامية والهندية الأوروبيّة).

^{٣٠} أحمد محمد، قدور. مدخل إلى فقه اللّغة العربيّة، ص ٥٨-٥٩

^{٣١} عبد الغفار، العربيّة خصائصها وسماتها، ص ٥٨

٦. اللغات البنطوية، المنتشرة في منطقة كبيرة من جنوب أفريقية كالصومال والكاميرون.
٧. لغة السودان وغانة.
٨. اللغات الملايوية البولينيزية Malayo-Polynésiennes ومنها الأندونيسية والملاينيزية.
٩. اللغات الاسترالية الآسيوية، وتنتشر في الجزء الآسيوي الجنوبي المنحدر إلى استراليا.
١٠. اللغات الدرافية
١١. اللغات الأمريكية
١٢. لغات البوشيمان والمهرنتوت والنيجريين، وغير ذلك^{٣٢}

العوامل المباشرة في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات

يرجع السبب الرئيسي في هذا التفرع إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة واسعة، واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس. غير أن هذا السبب لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى هذه النتيجة. وباستقراء هذه العوامل في الماضي والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى الطوائف الآتية:^{٣٣}

وهناك التصنيف النوعي الذي يعتمد على الخصائص الصرفية والنحوية للغات. وهناك التصنيف السلالي الذي يعتمد على انتساب اللغة إلى سلالة أو عائلة لغوية وتفرّعها من تلك العائلة اللغوية.^{٣٤}

^{٣٢}انظر: وافي، علم اللغة، ص ١٧٩-٢٠٨

^{٣٣}علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص ١١٩.

^{٣٤}محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص ١٤٨.

حسب التصنيف الجغرافي، تنقسم اللغات إلى التجمعات الآتية: اللغة الآسيوية، اللغة الإفريقية، اللغة الأوروبية، اللغة الأمريكية، اللغة الأسترالية. وحسب التصنيف السلالي، تنقسم اللغات إلى العائلات الآتية: العائلة الهندية الأوروبية، العائلة الحامية السامية، والعائلة الطورانية.

خلاصة

اللغة التي بحثت في التراث العربي هي كل ما من رموز، وكتابة، وإشارة، وأصوات الذي يعرضه الإنسان عن أغراضه وأفكاره. اختلفت النظرية عن نشأة اللغة الأولى. وأما نظرياتها فهي نظرية التوفيق التي رأت أن اللغة التي علمها آدم عليه السلام هي ألهام وموهبة وتوفيق من الله. ونظرية المحاكاة هي أن اللغة نشأت من طريق التقليد الذي يسمعها الإنسان حول الطبيعة. ونظرية المواضيع والإصطلاحات، أن اللغة عند هذه النظرية نشأت من اتفاق بين الأفراد في المجتمع. ونظرية التنفيس عن النفس، أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة تعجبية عاطفية، صدرت عن الإنسان، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة.

ونظرية الإستعداد الفطري، هي أن الله خلق الإنسان مفطورا على قدرة استحداث أدوات الإتصال اللغوي وأن الإنسان مفطور على القدرة على التعبير عن انفعالاته. ونظرية الملاحظة، يرى هذه النظرية أن اللغة هي ما يمكن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، منالأصوات اللغوية الأولى، يعبر عن أعمال أو إشارات الإنسانية. والنظرية بنظرية التطور العام.

وتنقسم اللغات السامية عموماً إلى: شرقية وغربية. أما السامية الشرقية، فهي الأكادية بفرعيها: البابلية والآشورية. وموطن هذه اللغة، هو بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات في العراق، (واللغة الأكادية، اسم جامع أطلقه البابليون، في جوب أرض الرافدين، على لغتهم البابلية، ولغة إخوانهم الآشورين، في شمال أرض الرافدين.

المراجع

- أبو الفتح ابن جني. الخصائص، ٣٣/١، عالم الكتب.
- توفيق محمد شاهين. عوامل تنمية اللغة العربية، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٠.
- رجحي كمال. دروس اللغة العبرية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٣.
- رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٩ م.
- _____ . المدخل إلى علم اللغة، الرياض: دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ م.
- صبحي الصالح. دراسات في فقه اللغة، الطبعة الثانية، بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٢٦.
- عبد الغفار حامد هلال. العربية خصائصها وسماتها، الطبعة الخامسة، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٤.
- علي عبد الواحد وافي. علم اللغة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٢.
- _____ . نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، جدة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٨.

- كرل بروكلمان. فقه اللغة السامية، رياض: المملكة العربية السعودية، ١٩٧٧.
- محمد بن ابراهيم الحمد. فقه اللغة مفهومه وموضوعه وقضاياها، رياض: المملكة العربية السعودية.
- محمد علي الخولي. مدخل إلى علم اللغة، الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- محمد شرف الدين الجوهرى. فقه اللغة العربية، سورابايا: الجامعة الإسلامية الحكومية، ١٩٧١.
- مصطفى الغلايين. جامع الدروس العربية، ط الاولى، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤.
- نايف معروف. خصائص العربية وطرائق تدريسها، لبنان: دار النفس، ١٩٩١.